السّباق التنازلي بين الأُمَم المتحدة ومؤتمر الرباط

بقلم غسان كنفاني

اذا استطاع الفشل الذي سينتهي اليه مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط ، مترافقا مع الفشل الذي ستنتهي اليه الدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة ، أن يضيفا دعما جديدا لصحة وصواب الموقف الذي تتخذه القوى التحررية العربية ، فان ذلك سيكون الحد الاقصى من الفائدة التي يمكن أن تجنى ، بصورة غير مباشرة ، من هذين المؤتمرين اللذين احتلت اخبارهما صدر الصحف في العالم، طوال الاسبوع الماضي .

في الرباط ثمة شهادة علنية على السقوط العاصف لنطق الرجعية العربية ، التي كانت منذ فترة تعود الى ما قبل حرب حزيران ، تدعو لتسييس الحركات الثيوقراطية الاقطاعية باسم الدين ، ومنحها ابعاد جديدة تمكنها من متابعة دورها كمطية للمصالح الاستعمارية ، وكسد في وجه حركة التحرر .

وفي نيويورك ثمة شهادة علنية أخرى على السقوط العاصف لورقة الحل السياسي الاستسلامي ، تتمثل في التصدي الفظ الذي قادته الولايات المتحدة وحلفاؤها في محاولة شرسة لفرض الوصاية الاستعمارية مجددا على المنطقة ، واخضاع شعوبها لاستسلام مهين أمام الشروط الاميركية الاسرائيلية .

وقد يكون حدوث هذين الامرين معا – من ناحية التوقيت – محض مصادفة ، ولكنه من ناحية المبدأ فهو مجرد انسياق منطقي بين خطوات القوى الاستعمارية والقوى الرجعية ، يخضع بصورة متساوية لحوافز وتطلعات ومصالح واحدة .

بين مؤتمرين

ان خطى حركة التحرر العربية اخذة في تخطي المستويات التقليدية التي تحاول الرجعية المتواطئة مع الاستعمار ربطها اليها ، وربما كانت التطورات الاخذة بالحدوث في المنطقة تبرد وتفسر الى حد بعيد طبيعة تلك التحركات المريبة التي ملأت أخبارها اعمدة صحف الاسبوع الماضي .

فمنذ الخامس من حزيران مضت المؤسسات « الاكليركية » ، التي تستمد تارة « بالهدية » وتارة « بالمنوطية » ، وما تزال تستمر بـ « الوهابية » تسقط واحدة تلو الاخرى ، لتفسح المجال امام صعود حركة وطنية ذات دماء جديدة ، ومن هنا فان « مؤتمر قمة اسلامي » يضحي خندقا جديدا لتلك الصيغ المفرقة في الرجعية ، تعمي ، من خلال التمركز فيه ، مصالحها ، وتحاول التصدي « للاخطار » التي تهدد باجتياحها .

ومنذ الخامس من حزيران مضت حركة المقاومة الفلسطينية تبني قدراتها خطوة خطوة ، وتشكل في الوقت ذاته الرد الاقوى على مجموع الصيغ الاستسلامية المطروحة ، بحيث باتت – بعد حوالي عامين من ولادتها – تشكل قوة اساسية ذات قيمة في ذاتها وقيمة في تأثيراتها ، ومن هنا فان الدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة استخدمت من قبل الخط الاسرائيلي الاستعماري لتزيد في درجة شراستها أمام ذلك الواقع الجديد الذي خلقته حركة المقاومة .

بروكس .. والشاه

الا أن التشابه في هذين المؤتمرين يتعدى التشابه في الحوافز والاهداف والتوقيت ، الى التشابه في التفصيلات ، واو من ناحية رمزية .

ففي الامم المتحدة تولت رئاسة الدورة الحالية « انجي بروكس » ممثلة ليبريا ، وهي صديقة قديمة لاسرائيل بقدر ما هي صوت افريقي للسياسة الاميركية ، وكان أول ما فعلته اثر انتخابها هو انها وجهت الدعوة لابا ايبان كي يتناول طعام الغداء معها ، في يوم وصوله الاول الى نيويورك .

وليست هذه الحقيقة مهمة في ذاتها قدر ما هي مهمة لانها اختصار رمزي لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التي اعترات من قرط ما استخدمت : فهي تقدم هذا النوع من الممثلين للعالم الثالث في محاولة لتقديم طرح مغلوط للقضايا ، واذا كانت « انجي بروكس » هي « صوت افريقي » للسياسة الاميركية ، ووجه من العالم الثالث لاسرائيل ، فان جزءا كبيرا من أولئك الذين ذهبوا الى مؤتمر الرباط ليسوا في الحقيقة الا « وجوها اسلامية » للمصالح الاستعمارية المرتبطة مباشرة مع اسرائيل .

مثلا : ان ايران ، التي تشكل في المؤتمر الاسلامي قوة اساسية وذات وزن ليست فقط أكبر مزرعة للرأسمال الاميركي في المنطقة ، ولكنها أيضا أكبر مورد للنفط لاسرائيل ، وأكبر مستورد للسلاح منها .

ان السؤال الذي يخطر على البال ، في هذا النطاق ، هو عما اذا كان حرس شاه ايران الخاص ، المسلحون برشاشات اسرائيلية من طراز عوزي ، قد حملوا هذا السلاح معهم الى الرباط ، أم تركوه في طهران بدافع اللياقة الامبراطورية !

ان هذا المنطق يمكن سحبه على ما هو أكثر من الوجود الايراني في مؤتمر الرباط ، فجزء كبير من أعضاء المؤتمر هم أعضاء في حلف السنتو ، وجزء منهم هم أعضاء مكاتب « السي آي ايه » في شرق آسيا ، وجزء اخر ليسوا اكثر من رجال درك مهمتهم سحق تحركات شعوبهم في سبيل التحرر

وبعد ذلك ليس من المهم أن يخف مندوب ايران ليزايد على المؤتمرين بالقول بأن نظام الشاهنشاهي مستعد لحمل السلاح في سبيل تحرير فلسطين ، فقد عجز هذا النظام عما هو اقل من ذلك ، عجز عن الاعتراف بوجود المقاومة الفلسطينية في المؤتمر وجودا كاملا !

صيغ التنازل

ان حركة التحرر العربي ، والعمل الفدائي على وجه الخصوص كانطلاق طليعي ، هما رد على الحركة الصهيونية التي هدفت من وراء تسييس الدين خلق واقع غير طبيعي في منطقة الشرق الاوسط ، وتشويه حقيقة الصراع في المنطقة وحرفه عن أصوله : ان حرق المسجد الاقصى بالنسبة لمخططات الصهيونية هو عمل سياسي في اصوله ، لان الصهيونية لم تقصد طوال عمرها أن تكون قضية بناء الهيكل قضية روحية .

وكما ان قرار مجلس الامن يشكل في الاساس – في هذه الدورة للامم المتحدة أكثر من أي وقت مضى – صيغة تنازلية ، فان مؤتمر القمة الاسلامي يشكل – من ناحيته – صيغة تنازلية اخرى وجديدة واكثر خطرا : ان قرار مجلس الامن يستهدف تحويل القضية الفلسطينية الى قضية محصورة بالاراضي المحتلة بعد ٥ حزيران ، وشؤون ما يسمى بالحدود الامنة ، وهنا تكمن خطورته التنازلية، وكذلك فان مؤتمر القمة الاسلامي يستهدف احداث المزيد من التنازل عن طريق تحويل القضية الى مجرد قضية أماكن مقدسة حمايتها وحرية التردد اليها !

مع الشعوب

وقد كان من الخطأ في الاساس أن يترك المؤتمر من هذا النوع تحديد حجم الوجود الفلسطيني داخله ، وربما كان السبب الذي أدى الى ذلك هو انعدام – أو شبه انعدام – لغة مشتركة بين المؤتمرين وبين حركة المقاومة الفلسطينية ، ولذلك فان القرار المؤتمر بحضور وفد منظمة التحرير بصفة مراقب لا يمكن باي حال من الاحوال أن يعتبر « انتصارا » ، أو مكافأة ، بل هو اعلان في نكريس ذلك الطلاق النهائي بين حوافز المقاومة وآفاقها ، وحوافز وآفاق مؤتمر من هذا النوع .

ان الرابط الوحيد بين المقاومة الفلسطينية والدول التي حضرت «مؤتمر الرباط هو الرابط مع شعوبها، التي تعاني غالبيتها من القهر والاستغلال، والصفة التقدمية للمقاومة الفلسطينية تفترض في الاساس مخاطبة تلك الشعوب والتعامل معها ، وترك حكامها يحاولون بناء متاريسهم الخاصة ، دون اعطائهم شهادة حسن سلوك ؟

تماما كما ترفض المقاومة، والجماهير العربية، منح مجلس الامن أو الجمعية العامة في دورة انعقادها الحالية ، شهادة حسن السلوك تلك !

٠٠ وطلعت يعود الى عمان

تمكن الشبل طلعت ، بطل عملية بون ، من العودة الى عمان يوم الاثنين الماضي بعد مطاردة استغرقت اسبوعين قام بها رجال البوليس الالماني الغربي .

وكان طلعت قد قذف سفارة اسرائيل في بون يوم ٨ ايلول الجاري واختفى ، وفشل البوليس الالماني في العثور عليه رغم كل الجهود التي بذلها، وبهذا تكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد تمكنت من اعادة شبلين من شبالها الاربعة الذين قاموا بعمليات لاهاي وبروكسل وبون ظهر ٨ ايلول الجاري .

اما الشبل الاول فهو خالد، الذي يتحدث « للهدف » على الصفحة ٤ و ٥ . (راجع عن طلعت : ص ١٩)

CONFIDENTIAL
سري جدا

عاد مؤخرا الى الولايات المتحدة ٣١ طالبا أميركيا صهيونيا بعد أن أنهوا في اسرائيل التدريب لمدة شهر على « تكتيك النشاط السياسي في الجامعات الاميركية » .

وكان هؤلاء قد ذهبوا الى اسرائيل بعد أن اختارتهم المنظمة الصهيونية الاميركية من ٢٦ جامعة في الولايات المتحدة ، برئاسة شاب صهيوني أميركي من نيويورك اسمه مايكل روزنبرغ ، وهو يدرس في جامعة الباني .

وعقد هؤلاء الطلاب فور عودتهم من اسرائيل اجتماعا في احدى ضواحي نيويورك ، اتفقوا فيه على خطة عمل ، تقتضي تركيز مواجهتهم (المسلحة احيانا) ضد ثلاث ثلاث :

١ – المجموعات الزنجية التي يبدأ تظهر مساندة واضحة لحركة المقاومة الفلسطينية .

٢ – بعض تجمعات اليسار الاميركي ، واهمها : حركة الطلاب للعمل الديمقراطي ، التي بدأت تظهر اهتماما بالنضال الفلسطيني .

٣ – الطلاب العرب ، والتجمعات العربية الناشطة، مثل طراز « هيئة العمل الاميركية العربية » .

تعجب الولايات المتحدة – ومن ورائها اسرائيل – « باقتناع » بعض وفود « جمهوريات الموز » في أميركا الوسطى (وهو الاسم الذي يطلق على بعض الحكومات الاميركية اللاتينية التي تتلقى الاوامر مباشرة من واشنطن) لاثارة مسألة خطف الطائرة الاميركية الى دمشق، واحتجاز الاسرائيليين فيها ، وذلك خلال احدى جلسات الدورة الراهنة في الامم المتحدة .

ويلاحظ بعض الوفود الى الامم المتحدة ان النشاط الذي تظهره أميركا واسرائيل حول مسألة اختطاف الطائرات مركز ، ليس على خطف الطائرات الى كوبا ، ولكن على عملية الجبهة الشعبية التي انتهت في دمشق .

والعامل الوحيد الذي يؤخر تقديم القضية الى الجمعية العامة ، هو : كيفية اثارتها دون افساح المجال لتسليط الاضواء على نشاط حركة المقاومة الفلسطينية !